



معلومات البحث

أستلم: 2014.06.19
المراجعة: 2014.07.16
النشر: 2014.08.01

المقامة المشجّرية في مقامات الإلوري: دراسة تحليلية نقدية

عزّالدين أديتنجي

جامعة الهلال الأهلية أيبوكوتا، ولاية أوغن ، نيجيريا.

izudeenadetunji@yahoo.com

Printed ISSN: 2314-7113

Online ISSN: 2231-8968

الملخص

يتناول هذا البحث موضوعا جديدا طريفا لم يحظ بدراسة من قبل وفي الوقت الذي كتبت فيه دراسات عديدة عن المقامات العربية كمقامات بديع الزمان الهمذاني، ومقامات الحريري وغيرهما، فإن المقامات النيجيرية ما زالت في حاجة إلى دراسة ككونها بكرية في إنتاجات العلماء النيجيريين. بناء على هذا، هدف هذا البحث المتواضع إلى "دراسة تحليلية نقدية لمقامة المشجّرية في مقامات الإلوري للشيخ محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن الإلوري". وقبل الخوض في صميم الموضوع، يركز هذا البحث أولا على مفهوم المقامة ومدلولاتها، وكذلك يناقش عن ترجمة وجيزة لصاحب القرآن الإلوري.

الكلمات المفتاحية: المقامة، الإلوري، دراسة نقدية.

Abstract

This research deals with a new topic which had not been favorably studied before, and by the time several studies were being written about Arabs Maqamats like those of al-Hamadhani's Maqamah, al-Hariri's Maqamah and etc. On this, Nigeria maqamats are still in need of study being a virgin work in Nigerian literary output. Therefore, this work is aiming to study the literary and critical study of Maqamah al-Mushajariyyah in Al-Ilory's Maqamah of Sheikh Muhammad – l- Awwal Abdul Salam known as Sahibul-Qur'an. Before delving in to the main topic, this research would firstly focuses on the meaning of Maqamah and its significances, likewise it would discuss briefly about the historical background of Sahibul-Qur'an.

Keywords: Maqamah, Ilory, Analytical and Critical Study.

مقدمة

يعدّ العصر العباسي عصر زاهر وذهبي في عصور الأدب العربي، ظهر فيه فن المقامة على يد الأديب بديع الزمان الهمداني (متوفى 398هـ). وأصبحت المقامة ظاهرة أدبية أو فنا أدبيا يهدف إلى تعليم العلوم الأدبية واللغوية. ويراها البعض أنها كالميدان العلمي الذي يتبارز فيه الأدباء ويعومون في بحر الأغراض الشعرية الفنية بما تتميز به من بيان للقدرة الفنية والتفنن. والمقامة هي مجموعة حكايات قصيرة تقال في مقام معين، تشمل كثيرا من فرائد الأدب والحكم والأمثال والأشعار النادرة وصور البديع، وبطلها رجل وهمي معروف بالاحتيال، وله حظ كبير من الفصاحة وقدرة على قرص الشعر وحسن تخلص من المأزق. ويتعلق هدفها الأساسي بتعليم الناشئة لأصول اللّغة والقدرة على النظم والتفنن في القول التي صورها بديع الزمان الهمداني. ولقد أثبت المؤرخون وعلماء اللّغة بأن بديع الزمان الهمداني مبدع ومبتكر لهذا الفن، وضعها في قالب الحكايات الطريفة المجموعة، واختار لها راوية اسمه عيسى بن هشام وبطلا بارعا في الكدبة هو أبو الفتح الإسكندري، وأخذ عنه كثيرون من العلماء العرب والأجانب. وأبرز هؤلاء: أبو القاسم محمد الحريري (ت 516هـ) الزمخشري (ت 538هـ) واليازجي (ت 1871م) وغيرهم. وامتد تأثيرها إلى الكتاب الأفارقة بوجه عام ونيجيريا بوجه خاص يكتبون المقامات ويؤلفونها على منهج بديع الزمان الهمداني وأبي القاسم الحريري وغيرهما من أصحاب المقامات، ومن هؤلاء الدكتور عبد الباري أدبنتجي في مقاماته الموسومة {كسوة العاري في مقامات عبد الباري} والشيخ مسعود عبد الغني أديبايو الأويوي في مقاماته {مقامات الأويوي} والشيخ محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن الإلوري في مقاماته {مقامات الإلوري}، والشيخ أحمد التجاني يوسف أجيغلي ريق الأصفياء في مقاماته {مقامات ابن يوسف}. بناء على هذا، هدف هذا البحث المتواضع إلى "دراسة تحليلية نقدية لمقامة المشجيرة في مقامات الإلوري للشيخ محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن الإلوري

المبحث الأول : مفهوم المقامة ومدلولاتها

أطلقت المعاجم العربية معان عديدة لكلمة "المُقامة" {بضم الميم الأولى} من الناحية اللغوية تعني الإقامة، وقيل أقام الرجل إقامة ومقامة كالمقام (يوسف نور عوض: 1986)، وتحمل أيضا معنى القيام في محفل أو بين يدي أمير (سمير محمود الدوري: 1983). المقام بالفتح والضم قد يكونا للموضع، لأنك إذا جعلت من قام يقوم فمفتوحة، وإن جعلته من أقام يقيم فمضمومة، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فإن الموضع مضموم الميم لأنه مشتبه ببنات الأربع، نحو: دحرج وهذا مدرجنا. وقوله تعالى "﴿لا مقام لكم﴾" (سورة الأحزاب: 13): لا موضع لكم، وقرئ بالضم أي الإقامة وقوله تعالى "﴿حسنت مستقرا ومقاما﴾" (سورة الفرقان: 76) .

فكلمة المقامة لها معان مختلفة عبر العصور التي يعيشها العرب وفي ظروفها الاجتماعية والسياسية والدينية، وفي العصر الجاهلي تعني المجلس أو المحفل الذي يقام فيه بالخطبة أو الكلام الذي يراد به مصلحة القوم (أبو العباس ثعلب

.فخر الدين قباوة (2008)، والسادة من الرجال (أبي زيد الأنصاري، محمد عبد القادر أحمد، 1980)، والعظة أو الخطبة تقال بين يدي أمير (الزحشري، 1998،، والأحدوثة من الكلام (الزحشري: 1997 ب):. ونجد دلالة كلمة "المقامة" في بيت مالك بن خريم الهمداني حيث يقول:

وأقبل إخوان الصفاء فأوضعوا إلى كلّ أخوى في المقامة أفرع (الأصمعيات، محمد نبيل طريقي، 2005) فالمقامة في بيت مالك بن خريم يجب أن تعنى المجلس أو النادي، لأن سياق الكلام في البيت يدل على ذلك، وإخوان الصفا يسارعون في المجلس إلى كل شاب أسود الشعر الطويل. ووردت كلمة المقامة في بيت سلامة بن جندل السعدي يومان: يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب (عبد المالك مرتاض: 1988) فورود لفظ "مقامة" بجوار أندية في بيت سلامة السعدي يدل على أن مفهومها يعنى المجالس أيضا، وفي شعر نهمل الدرامي نرى هذا المعنى فيها:

إننا نظرنا في المقامة مالكا نظر المسافر أين ضوء الفرقد (حنا الفاخوري: 1963 (ا)) إضافة إلى هذا المعنى، ورد لفظ مقام في القرآن مقرونة بلفظة ندي أو موضع كما في قول سبحانه وتعالى ﴿أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ (سورة مريم: 72)، وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي﴾ (سورة البقرة: 125). ويقال أيضا للجماعة يجتمعون في مجلس أي مقامة ومنه قول لبيد: ومقامة غلب الرقاب كأهم جنّ لدى باب الحصير قيام (يوسف نور عوض: 1986) فسر ابن منظور المقامة في هذا البيت على أنها الجماعة من الناس (ابن منظور: 1992)، ونرى هذا المدلول أيضا في بيت زهير بن أبي سلمى حيث أطلق معنى المقامة بالجالسين أو للجماعة يجتمعون في مجلس:

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل (. خليل أبو رحمة وآخرون: 2003) وتعني مفهومها الاصطلاحية فنا من فنون الأدب العظيمة ونوع من أنواع النثر الجديدة الكريمة، وقسم من الرسائل كثرت بعد العصر الأول من الدولة العباسية. فالمقامة عند أحمد الإسكندري وغيره "تحتوى على قصة قصيرة يصف فيها الكاتب أحد الناس وأخلاقه، ويذكر بها بعض الحوادث والأماكن بأسلوب سجع طريف" (أحمد الإسكندري وآخرون: د.ت)

وفي رأي الدكتور حجاب "إنها حكاية أدبية قصيرة يدور أغلبها حول الكدية والاحتيال لجلب الرزق وتشتمل على نكتة أدبية تستهوى الحاضرين" (يونس نور عوض) فيعرفها "أنيس المقدسي" بالقول: "إنها حكايات قصيرة مقرونة بنكتة أدبية أو لغوية (المقدسي، أنيس، 1979)، ويقول الفاخوري حنا أنها: "شبه قصة تدور حول البطل وهمي يرى أخباره رواية وهمية أيضا ويطلبها رجل أحكم التخيل وقصر همه على تحصيل الطفيف في الرزق فكانت أخباره كلها تدور حول الكدية والاحتيال والتمويه...، وهي سيدات لعرض النكتة وإظهار البراعة في التخلص من مآزق الحياة عن

طرق ملتوية وبنوع خاص لإظهار المقدرة اللغوية والأدبية" (حنا الفاخوري:1953 ب) ويراها البعض أنها قريبة من المسرحية (أحمد شوقي د.ت). بناء على ما سبق، نستخلص ثلاثة أمور في تعريف المقامة: أولاً: أنّ المقامة تحتوي على خيط درامي ما، لاحتوائها على الشخصية والسرد والحوار والحبكة ثانياً: أنّها تستقى مادتها من الواقع اليومي لتعرضها لكثير من مظاهر الحياة اليومية ثالثاً: أنّ أسلوبها ولغتها أهم ما فيها إن ذلك يجعلنا أقرب إلى فهم أوضح للمقامة، بحيث يمكن وضعها بين الحكاية والقصة والمسرحية.

المبحث الثاني: ترجمة صاحب القرآن الإلوري

المطلب الأول: اسمه ومولده ونسبه ولقبه.

هو محمد الأول بن عبد السلام بن محمد الأول بن محمد الثاني الملقب بصاحب القرآن، وهو الإلوري مولداً، والفلولاني نسبا، والنيجيري جنسية. وقد انتسب إلى إحدى القبائل الفولانية التي وفدت إلى بلاد هوسا من بلاد فوتا تورو. ولد في سنة 1973م في مدينة إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا، من أبوين كريمين شريفين.

وكان أبوه عالماً متفناً، وداعياً جريماً الذي يقضى حياته في حمل لواء الدعوة إلى سبيل الله، وجوالاً بين المدن والقرى يدعو الناس إلى الدين الإسلامي الحنيف ومحا للعلم والأدب الذي يسعى كلّ حياته للعلم وتلاوة القرآن مع تدبّر معانيه حتى لقبه شيخه يوسف الأبهجي ب (صاحب القرآن)، وبهذا الاسم عُرف ابنه الكاتب الفنيّ والشاعر المفلق الشيخ محمد الأول بن عبد السلام الملقب ب "صاحب القرآن" الإلوري الفولاني النيجيري الإفريقي". (المقابلة الشخصية مع الشيخ محمد الأول عبد السلام في 23\7\2012)

المطلب الثاني: نشأته وتعليمه وثقافته:

نشأ الشيخ محمد الأول في مدينة إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا نشأة دينية أدبية طيبة بين أسرة جلييلة كبيرة معروفة بالأسرة ذات دينية وترى تحت حضانة والديه. والجدير بالذكر أنّ من دأب العلماء وقتذاك أن يزود لأبنائهم التربيّة الإسلامية الخالصة والعلوم القرآنية السليمة منذ صغرهم ولهذا، تتلمذ الشيخ محمد الأول عند أبيه وبدأ دراسته الابتدائية على يديه، واستطاع أن يقرأ القرآن الكريم الكامل قراءة مجودة وهو في حداثة سنه، ولما لاحظ أبوه سرعة انفراده بقراءة القرآن وتجويد أحرفه وحفظ بعض أحزابه حوالي اثني عشر من عمره، أخذ يفرح بقوة ذكاء ابنه وحفظه شاكرًا لله تعالى، ويتغنى قائلاً:

محمد أرسله الله محمد أرسله الله (المقابلة السابقة)

وفضلاً على هذا، تلقى بعض الكتب الدّينية واللّغوية قبل وفاة أبيه 1989م، في مدرسة دهليزيه زمريه أساسها الشيخ حسين أريكؤصلا سنة 1986م، ولا يخل سبب هذا عن رغبة أبيه في تعليمه للدراسات العربية والثقافة الدينية

الإسلامية العريقة. وكان إيمانه القوي واعتقاده الشديد بأن العلم ميراثٌ حسنٌ لكل الناس، وبه يُجَلُّ الناس ويُرفع مكانه، وهو كمن لا يفنى بل ميراث أبدي، إتباعاً لحديث المصطفى { صلى الله عليه وسلم } الذي يقول: "اطلب العلم ولو بالصين" (وأبو العاتقة المحدث: د.ت)، لهذا، ترك محمد الأول مسقط رأسه متوجّهاً إلى بلد كادونا { إحدى البلدان في شمال نيجيريا } مع أخيه العزيز عبد المؤمن عبد السلام سنة 1990 لرحلة دراسية، وسجلاً في مدرسة محلية، ودرساً فيها الكتب الفقهية والعلوم الدينية التشريعية والكتب الأدبية اللغوية. (المقابلة السابقة). وبحسن الحظّ وتوفيق من الله، التقى محمد الأول بشيخ سوداني من محاضري جامعة ولاية كدونغ، فهو الدكتور إبراهيم مرتضى سنة 1993م، وتلمذ عنده. وقد كان هذا الدكتور أثر كبير ملموس في حياة الشيخ محمد الأول، وتعلّم عنده مدة وجيزة تمام شهرين كاملين ليلاً ونهاراً، وقرأ عنده كتباً عديدة من الكتب الدينية واللغوية والنحوية والأدبية والبلاغية والمنطقية. وبه فتح الله عليه أسرار العلوم ومظاهرها. (المقابلة الشخصية مع الشيخ محمد الأول عبد السلام في 14\9\2012) ولهذا، لقد وضعه ثقافته الأدبية في منزلة شامخة مرموقة بين زملائه وأقرانه، على أنه عالمٌ متفنّنٌ وخطيبٌ وصاحب البراعة والبراعة وشاعرٌ عبقرىٌ وكاتبٌ لودعيّ نحريّ ومتبحر في علوم عديدة.

المطلب الثالث: مكانته العلمية

تبوأ الشيخ محمد الأول بن عبد السلام مكانة مرموقة ومنزلة شامخة بين علماء عصره بالعلم والأدب والثقافة، وشهد له بفضل الجليل وحفظه ومقدره في اللغة والأدب والشعر والفكر. وكان متوقداً للعلم في حفظ كل ما سمعه وتعلّم ما شاء الله عليه أن يتعلم منذ نعومة أظفاره حتى حوى من العلوم العربية والإسلامية قسطاً وافراً. إضافة إلى هذا، إنّ ميوله إلى تأليف الكتب العربية والدينية وقرائض الشعر القيم، وكتابة المقالات النفيسة واشتراكه في الندوات والمؤتمرات الأدبية ممّا تفشي صيته بين الناس. ولهذا يقول دكتور حمزة عبد الرحيم في تقريره لمقامات الإلوري:

" نعتبر الأستاذ محمد الأول عبد السلام فريداً من نوعه ووحيداً من بني جنسه، وتتجلى هذه الصفات في هذه المأدبة التي يقدمها إلى القراء الكرام في أقاصي الأرض وأدانيها والنقاد العظام في مشارق الأرض ومغاربها". (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن الإلوري: 2011)

ومدّحه أيضاً الشيخ مسعود عبد الغني أديبايو الأويوي { الإمام الأكبر في مدينة أويو } في شعره لما أطلع على مقاماته:

يا صاحبي - صاحب القرآن مجتهد	في الصنع والتأليف تكتسب
وضعت شيئاً جميلاً كل مجتهد	يبغى النزول إليه والعلامة تكتسب
لكن فضل إله العرش ليس له	كم وكيف، وذو جحد ليكتسب

محمد صاحب القرآن طارقه وحاصل لنصيب وافر يجب
ها إنه عزة التاريخ تذكره أيامه فكان العلم يحتلب (مسعود عبد الغني أديبايو
2011):

المطلب الرابع: مؤلفاته

للسيخ محمد الأول عبد السلام مصنفات اللغوية والأدبية والفكرية والتاريخية، وتبدو جهوده المضنية في حقل اللغة والأدب وفي أشعاره ورسائله المملوءة بأسلوب أنيق كما يبدو ذلك في مقاماته وديوان الموسوم بـ {ديوان صاحب القرآن}. وله أيضا مجموعة رائعة من الكتب المطبوعة والمخطوطة ومنها ما يلي:

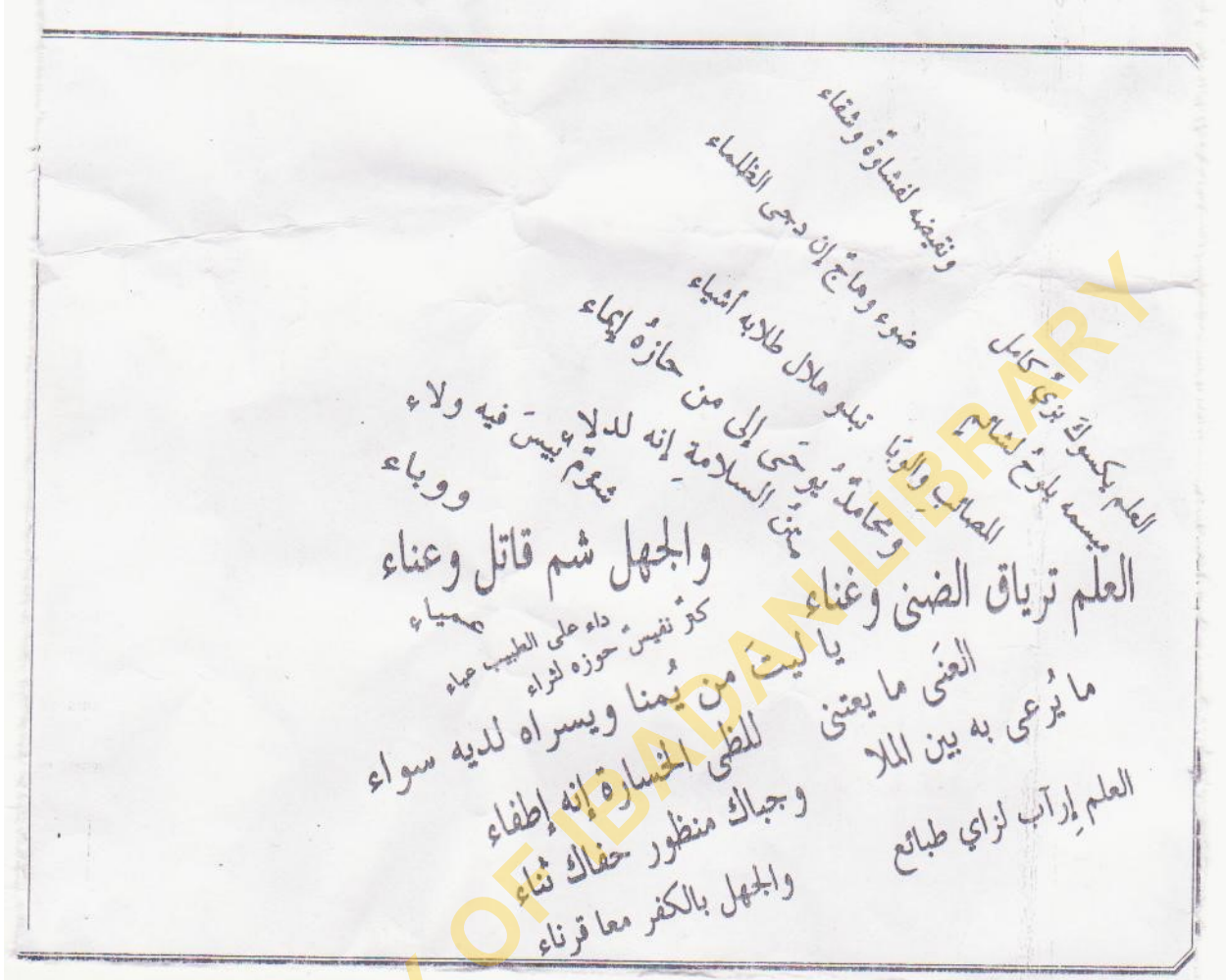
(1) نحن في انتظار الساعة { 1996م }، (2) قيام الساعة بين لحظة وساعة { 1997م }، (3) نقطة الانتفاع { 1997م }، (4) مغنم المدح في قصائد المدح { 1998م }، (5) هداية العبد في قصائد الزهد { 1998م }، (6) معتربات الحياة { 1999م }، (7) سبيل الأفواج { 2000م }، (8) مغني اللبيب في مجاليس الشيخ اللبيب { 2001م }، (9) إجابة المرتجى عن آثار الشيخ الأبهجي { 2002م }، (10) نخل القند { 2003م }، (11)، ديوان صاحب القرآن { 2005م }، (12) زهر المديح شرح زبدة المديح { 2006م }، (13) ضوء الاقتباس { 2007م }، (14) رد الرفيق { 2010م }، (15) تعالوا معي على قصيدة الأصمعي { 2010م }، (16) الخمسيات { 2011م }، (17) رموز من أي القرآن { مجلدين تحت الطبع }، (18) مقامات الإلوري { 2005م }، 2010 م ، 2011 م { محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011 }

المبحث الثالث: البناء الفني في المقامة المشجيرية

المطلب الأول : نص المقامة :

المقامة المشجيرية :

حَدَّثَنَا جَبْرِيلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ عَزَمْتُ مَا دُمْتُ بِالْبَقَاءِ، مُنْذُ اسْتَطَعْتُ عَلَى الْإِسْتِنَجَاءِ، وَمِنْ التَّصْفِيفِ عَلَى النَّجَاءِ، عِنْدَ مَا بَلَغْتُ مِنَ الْقُوَى أَشَدَّهَا، أَنْ لَا أَذُرَّ فَرْجَةَ الشَّهَوَاتِ إِلَّا أَسُدَّهَا، وَأَنْ أُرَاحِمَ مَعَانِي الْأُدْبَاءِ، مِنْ الْبَعْدَاءِ وَالْقُرْبَاءِ، فَأَدَانِي أَبُو الْعَجَبِ إِلَى مَعَاشِرَةِ أُولِي الْأَدَبِ، فِي مَحْفَلٍ يَدُسُّ نَرَاهَا أَحْمَصُ الْأَعْلَامِ، بِسِحْرِ الْأَقْلَامِ، وَيَعْشَاهَا الشَّاعِرُ وَالْمُنْشِئُ، كَمَا يَحْضُرُهَا الْبُرِّ وَالْمُسِيئُ، وَإِذَا هُمْ يُحَاوِرُونَ عَلَى قِيَمَةِ الْعِلْمِ، وَيَشْهَدُونَ بِالنُّثْرِ وَالنَّظْمِ. إِذْ وَعَلَ عَلَيْنَا أَبُو اللَّيْبِ بِأَبْيَاتٍ يَدَى أَنْ فِيهَا آيَاتٍ، وَقَلَّ مَنْ يَحُلُّ حُفْدَهَا، وَيَحِلُّ حُلْيَا عِقْدُهَا، ثُمَّ جَعَلَ طَيِّهَا عَجْزُهُ . فَقَالَ هَلْ يُبَيِّنُ أَحَدٌ صَدْرَهُ مِنْ عَجْزِهِ ، فَقَالُوا أَفْتَدِينَا فِيهَا الْعَنَاءَ، إِنَّ لَنَا بِهَا الْعَنَاءَ، ثُمَّ أَرَاهُمْ مَا فِيهَا مِنَ الشِّعْرِ الْمَشَجَّرِ، الَّذِي لَا يُبَيِّنُ عُصُونَ الْأَوْزَاقِ مِنَ الشَّجَرِ . قَالَ:



قَالَ جَبْرِيلُ بْنُ خَالِدٍ مَا فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا بَهَتْ لِبِدَاهَتِهِ، وَاعْتَرَفُوا لِتُرَاهَتِهِ، فِي ذَلِكَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَنْقُولِ الْحَاتِمِ، حَتَّى أَقْفَلَ فَاهُ الْعَائِبِ الشَّامِ، عِنْدَمَا أَتَى لَمْ يَأْتِهِ مِنَ الْعَرَائِبِ، بَنُوا الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، فَأَتْنِي عَلَيْهِ الْأُمَمُ وَرَأَتْ إِلَى سَجْلِهَا الْهُمَمُ، فَتَعَلَّمُوا مِنْهُ كَيْفِيَّةَ صُنْعِهِ، وَأَتَّخَفُوهُ حِدَارَ مَنْعِهِ، وَأَنْتَشَرَ الْخُفْلُ، وَوَلَّى الْأَعَالِي وَالسُّفْلُ. (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

المطلب الثاني : تحليل نص المقامة :

المقامة المشجورية من أبرز مقامات صاحب القرآن الإلوري، إذ تنسب لفن الشعر المشجّر في الشعر العربي . وهو ضرب من الشعر يكتب على هيئة شجرة بحيث ينظم البيت الرئيس، فيمثل جذع القصيدة وأساسها، ثم يفرع على كل كلمة منه تنمة له تلتزم القافية والوزن نفسها من جهتي اليمين واليسار حتى يخرج منه الشجرة (دكتور بدوي طبانة: 1988) تدور أحداث المقامة حسب حديث الراوي { جبريل بن خالد } على زعمه بالأحضر مجالس العلماء وأندية الأدباء منذ يرى نفسه مكتفيا بعلمه وأدبه وبما جبله الله من الرزق. ولكن القدر من الله وقضائه وقع

عليه الذي يقوده إلى معايشرة أرباب الأدباء وأصحاب التّهى في مجلس الذي يحشد فيه العلماء والفقهاء والأدباء في حلّ المعضلات التي تعارض عليهم. ولقيّ جبريل بن خالد هؤلاء الأدباء، فوجدهم يتحدثون عن ماهية العلم وفوائده. وبينما هم يتشاورون إذ دخل عليهم أبو اللّيب { بطل المقامة } بأبيات من الشعر الذي جعل طيّها عجزها، ويرى أن لا أحد من الأدباء يستطيع تحليل عقدها. ولهذا، يقول جبريل بن خالد، لما رأت الجماعة ما جاء به أبو اللّيب، أعجبوا به، وعجزوا عن حلّها، حتى أشار أيضا بكلامه : أنها صناعة ما في أحد في الأندية يستطيع حلّها إلا أن يقع في المشكلة، ويتعب فيها دون أيّ جدوى. ولهذا، طلبت الجماعة من أبي اللّيب أن يبيّن سرّ هذه الأبيات ويشرحها، لأن صاحب البيت أدرى بما فيه كما قيل في بعض الأمثال العربية. ففسّر أبو اللّيب هذا الشعر الموسوم { الشعر المشجّر } فأحسن عليه الجماعة بعد تفسيره ثمّ انتشرت إلى منزلهم.

يتناول غرض مقامة المشجّرة محورا واحدا، فهو تعليم بصناعة الشعر المشجّر الذي يرى صاحب القرآن بأن علماءه في هذا العصر نادر وقليل. ولهذا، يقول في حاشية مقامة المشجّرة :

" صناعة المشجّر فن لا يحيط به علما إلا ذوى الأبصار والعرفان ". (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن:

2011)

وعند النظر في الأشعار التي وضعها صاحب القرآن في المشجّر، سنرى أنها أبيات ذات قيمة عن ماهية العلم وفوائده. وترتيا لهذه الأبيات، نلاحظ أنها خمسة عشرة بيتا:

وَالْجَهْلُ شُمٌّ قَاتِلٌ وَعَنَاءٌ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
وَنَقِيضُهُ لَفْشَاوَةٌ وَشَقَاءٌ	الْعِلْمُ يَكْسُوكَ بَزِيٍّ كَامِلٍ
ضَوْءٌ وَهَاجٌ إِنَّ دُجَى الظُّلْمَاءِ	الْعِلْمُ مِيسَمُهُ يَلُوحُ لِشَائِمٍ
تَبْدُو هَالَأُلْ طَلَابُهُ أَشْيَاءُ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الْمَصَائِبِ وَالْوَبَا
يُوحَى إِلَى مَنْ حَازَهُ إِيْمَاءُ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَمُحَامِدٌ
مَثْنُ السَّلَامَةِ إِنَّهُ لَدِلَاءٌ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
وَالْجَهْلُ شُوْمٌ يَبْسُ فِيهِ وَلَاءٌ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
وَالْجَهْلُ شُمٌّ قَاتِلٌ وَوَبَاءٌ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
وَالْجَهْلُ شُمٌّ قَاتِلٌ عُمِيَاءُ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
وَالْجَهْلُ ذَاءٌ عَلَى الطَّيِّبِ عِيَاءُ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
كَنَزٌ نَفِيسٌ حَوَزَةٌ لِثِرَاءِ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
يَأْلَيْتَ مَنْ يُمْنَا وَيُسْرَاهُ لَدَيْهِ سِوَاءُ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ
لِللَّطَى الْحَسَارَةُ إِنَّهُ إِطْفَاءُ	الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الْعَنَى مَا يَعْنِي

الْعِلْمُ مَا يُرْعَى بِهِ بَيْنَ الْمَلَا وَجِبَاكَ مَنْظُورٌ حُفَاكَ ثَنَاءً
الْعِلْمُ إِزَابٌ لِزَايٍ طَبَائِعٍ وَالْجَهْلُ بِالْكَفْرِ مَعَا قُرْنَاءُ

علاوة على هذا، يتسنى لي في هذا البحث المتواضع تسليط الأضواء على هذا الفن ومعرفة معناه، وكيفية مبادئه في الشعر العربي.

الشعر المشجّر هو ضرب من الشعر يكتب على هيئة شجرة بحيث ينظم البيت الرئيس، فيمثل جذع القصيدة وأساسها، ثم يفرع على كل كلمة منه تنمة له تلتزم القافية والوزن نفسها من جهتي اليمين واليسار حتى يخرج منه الشجرة. وإنما يشترط فيه أن تكون القطع المكملة كلّها من بحر البيت الذي هو جذع القصيدة، وأن تكون القوافي على راوي قافية أيضاً، وهو من عمل رجال الصنعة المتأخرين عن القرن الحادي عشر عند الفاطميين بالتحديد. وكان أدباء ذلك القرن يسمونه بالمشجّر، وهذا النوع المعروف اليوم بالمطرز. (دكتور بدوى طبانة: 1988). ولعل أخذ هذه التسمية ممّا يسمونه بشجرة النسب، إذ هما متشابهان في الوضع متفقان على الجملة في الترتيب. وهذه الكلمة: " شجرة النسب " كانت مستعملة في القرن الرابع وما بعده.

والتفات النظر إلى مفهوم التطريز أو المطرّز في علم البديع، سنرى أنّه يختلف بمدلول المشجّر، لأنّه من الصنعة البديعية، وذلك إن بعضهم إذا أرادوا أن ينظموا في مدح " أحمد " مثلاً، جعلوا أوائل الأبيات على حسب حروف هذا الاسم، فبدءوا بالألف، ثمّ بالحاء، ثمّ بالميم، ثمّ بالدال. (دكتور بدوى طبانة: 1988). بناء على هذا، يختلف هيكل الشعر المشجّر بالمطرز.

المطلب الثالث : صورة البطل في المقامة المشجرية .

يعدّ أبو اللبيب أبرز شخصية أدبية في مقامات الإلوري. ومن تصفح على مقامات الإلوري يجد أن البطل { أبو اللبيب } تشكل نموذجاً إنسانياً مثقفاً وأديباً بارعاً وعالماً متفنناً وشاعراً عبقرياً، وفي النثر له سبق الغايات. والجدير بالذكر، أن صورة أبي اللبيب تمثل صورة التي لعبتها الأبطال في المقامات العربية، مثل أبي الفتح الإسكندري " بطل في مقامات بديع الزمن الهمداني " وأبي زيد السروجي " بطل في مقامات الحريري " وغيرها. بناء على هذا، يصف دكتور إبراهيم السعافين صورة البطل في كتابه " أصول المقامات " حيث يقول:

" ذلك الرجل الذكيّ البليغ، حاضر البديهة، واسع المعرفة غزيرها، يأخذ من كل علم بطرق، وربما بنصيب وافر، حاضر النكتة، عميق السخرية، واسع الحيل، قادر على الشكل، يجيد التخفي، بصناعته في الأغلب الأعم في لسانه، يجيد النظم والنثر، مهما وسيلته إلى الكدبية، قلب له الدهر، طهر المجن، فإذا هو يغني مفتقر. (إبراهيم سعافين: 1987)

إضافة إلى هذا، إن الفرق بين أبي اللبيب والهمداني والحريري هو أنه أقلّ كدية وخدعة في أدواره، بل لم يأخذ الكدية حرفة في كل أدواره الملموسة في المقامات كما نجد عند الهمداني والحريري، ولكنّ توظيف التعليم والأدب الجسد على شخصيته هما وسيلته الإبداعية، اللذان يتضمنان له النجاح في كل أدواره التي يلعبها. لقد مثل صاحب

القرآن نفسه بطلا لمقاماته ولقبه بأبي اللبيب، ولا شك أن هذا لقب، لقب حقيقي من طرفه ابنه الثالث المسمى (اللبيب)، وبهذا الاسم لقب بطله في مقاماته . بناء على هذا، نرى صورة أبي اللبيب في هذه المقامة المدروسة " المقامة المشجرية" كصورة عالم متفنن، ومعالم سديد، وأستاذ الأساتذة، وخطيب ذلق، وشاعر مفلق، الذي يدرس الجماعة في الأندية فن الشعر المشجر.

المطلب الرابع : صورة الراوي في المقامة المشجرية :

تحتل شخصية الراوي في المقامات مرتبة ثانية بعد ذكر شخصية البطل. فراوي في مقامات الإلوري هو جبريل بن خالد. الذي كان رائدا للمقامات، ويروي أحاديثها وحداثتها. ويقول هادي حسن حمودي في وصف شخصية الراوي في المقامة ودوره:

" مع أن الراوية قطب المقامات، وفي يده مفتاحها، فهو الذي يرويها، وهو الذي يسد موضوعاتها بلغته، ويصف البلدان والأماكن التي تدور فيها تلك الموضوعات، وهو الذي يكشف عن شخصية البطل" (هادي حسن حمودي: د.ت)

يؤكد يوسف عوض على أن شخصية الراوي مهمة في القصص الشعبي، لأنها تشيع جوا واقعا بمشيحة رومانسية هي التي تمنح هذا اللون من الأدب حلاوته وجماله (يوسف نور عوض:). بناء على هذا، إن شخصية الراوي { جبريل بن خالد } أهمية خاصة في مقامات الإلوري، إذ هو الذي تمهد الطريق لظهور البطل، وتتابعه حيثما وجد، بحيث يحسن الراوي طريقة التقديم فيجعلها الصدفة أو يجعلها المناسبة أو ما إلى ذلك.

وذكر يوسف عوض في أسلوب بداية حكاية سرد المقامة، أن فكرة الغربة والسفر تسيطر على بداية سائر المقامات، فالراوي ينتقل في بلاد متعددة لكنّها تدخل في حدود الدولة العباسية أو البلاد التي انقسمت عنها، ويعتقد أن تلك مزية خاصة رمى البديع من خلالها إلى القول. إن هذا الواقع الذي يصوره لا يختص بمنطقة واحدة من أقاليم الدولة العباسية، بل إنه شامل لكلّ أجزائها، إذ الإسكندري لم يجد التقدير في أي من مناطقها، لذلك هو ينتهج أساليب الاحتيال في كلّ مكان يذهب إليه. (هادي حسن حمودي: د.ت)

وإمعان النظر إلى دور الذي لعب جبريل بن خالد في مقامات الإلوري بوجه عام والمقامة المشجرية بوجه خاص، سنجد أنه دور فعال ملموس، حيث يخلق الحبكة بينه والبطل { أبو اللبيب } ونواة الشخصيات. وهم جميعا يشكلون موضوعا محوريا يعكس أدوارا بارزة في المبنى الحكائي، من حيث الحوارية التفاعلية التي تتوسل شخصيات ثانوية أخرى في هذه المقامة. ولكلّ من عكف على مقامات الإلوري وقرأها قراءة دقيقة وتمعن، يرى أن المواصفات المجسدة في شخصية الراوي تتوافق بكلّ المواصفات المجسدة بشخصيات موجودة في المقامات العربية الأخرى، مثل شخصية عيسى بن هشام { الراوي في مقامات بديع الزمان الهمداني }، والحارث بن الهمام { الراوي في مقامات الحريري } وغيرهما. ومثال هذا، نجد جبريل بن خالد زاعما على اكتفائه بما يحوزه من العلم والأدب والرزق، وبأنه لم يحتاج إلى

أي شيء آخر من الناس كما قرانها في بداية المقامة المدروسة، قبل أن يحصل عليه قدر من الله الذي يجعله منتقلا إلى أندية أدبية لازدياد من المعرفة خاصة عن الموضوع الذي لم يطرق بباله أنه سيستفيد منه، وبحسن حظّه جاء بيانه أبو اللبيب وعجزه عنه جميع الجلسة بحلّه. ويقول:

" حَدَّثَنَا جَبْرِيلُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ عَزَمْتُ مَا دُمْتُ بِالْبَقَاءِ مُنْذُ اسْتَطَعْتُ عَلَى الْإِسْتِنجَاءِ، وَمِنْ التَّصْفِيفِ عَلَى النَّجَاءِ، عِنْدَ مَا بَلَغْتُ مِنَ الْقُوَى أَشَدَّهَا، أَنْ لَا أَذُرُ فَرْجَةَ الشَّهَوَاتِ إِلَّا أَسُدُّهَا، وَأَنْ أُرَاحِمَ مَعَانِي الْأَدْبَاءِ، مِنَ الْبُعْدَاءِ وَالْقُرْبَاءِ، فَأَدَّابِي أَبُو الْعَجَبِ إِلَى مَعَاشِرَةِ أَوْلِي الْأَدَبِ، فِي مَحْفَلٍ يَدُسُّ نَرَاهَا أَحْمَصُ الْأَعْلَامِ، بِسِحْرِ الْأَفْلَامِ، وَيَعْشَاهَا الشَّاعِرُ وَالْمُنْشِئُ، كَمَا يَحْضُرُهَا الْبِرُّ وَالْمُسِيءُ، وَإِذَا هُمْ يُحَاوِرُونَ عَلَى قِيَمَةِ الْعِلْمِ، وَيَشْهَدُونَ بِالنُّثْرِ وَالنَّظْمِ، إِذْ وَعَلَ عَلَيْنَا أَبُو اللَّيْبِ بِأَبْيَاتٍ يَدِّي أَنْ فِيهَا آيَاتٍ، وَقَلَّ مَنْ يَحُلُّ حُقْدَهَا، وَيَحِلُّ حُلِيًّا عِقْدَهَا، ثُمَّ جَعَلَ طَيْهَا عَجْزُهُ... الخ (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

علاوة على هذا، إنّ صورة شخصية الراوي { جبريل بن خالد } الأدبية الثقافية هي أنه عالم مثقف بثقافة عصره، مغرم بالكلمة الحلوة والتعبير الجميل، يطرب للشعر، ويتسامر بأخبار الشعراء والعلماء، يبحث للاستطلاع يتقصى الأمور حتى يقف على وجهها الحقيقي. ولهذا، نراه يتجول من مكان إلى مكان آخر، إما لأندية أدبية أو لعظة مروعة أو لتعليم علمية أو لجلسة زهدية وصوفية (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

ونظراً إلى حال الراوي في هذه المقامة بنظرة نقدية سنرى أن فيها التضاد بين اكتفائه بما احتوى من العلوم والأرزاق وتغيير زعمه ونيتته لازدياد المعرفة والعلم، مما أدى إلى انتقاله إلى جلسة أدبية علمية، واستفادته من موضوع الذي عجز عنه جميع الجلسة تحليله وتفسيره، والذي قام أبو اللبيب دور المعالم أو المدارس في دراسة فن الشعر المشجر لجمع الجلسة. ولهذا، يقول الراوي :

" مَا فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا بَهْتُ لِيَدَاهَتِي، وَاعْتَرَفُوا لِشَرَاهَتِي، فِي ذَلِكَ الْأَبْيَاتِ كَمَنْقُولِ الْحَاتِمِ، حَتَّى أَقْفَلَ فَاهُ الْعَائِبِ الشَّائِمِ، عِنْدَمَا أَتَى لَمْ يَأْتِهِ مِنَ الْعُرَائِبِ، بَنُوا الصُّلْبِ وَالنَّرَائِبِ، فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ الْأُمَمُ، وَرَأَيْتُ إِلَى سَجْلِيهَا الْهَمَمُ، فَتَعَلَّمُوا مِنْهُ كَيْفِيَّةَ صُنْعِهِ، وَأَحْفُوهُ حِدَارَ مِنْعِهِ، وَأَنْتَشَرَ الْحُفْلُ، وَوَلَّى الْأَعَالِي وَالسُّفْلُ " (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

المطلب الخامس: الظاهرة اللغوية

تتعلق هذه الظاهرة بالأبنية اللغوية التي تبين غور تجربة الكاتب العلمية وأذواقه الأدبية مع إمامه باللغة واستخدام المفردات والجمل والتراكيب والبنية الصوتية ودلالات الألفاظ والتعبير وقواعد النحو وما أشبه ذلك. وبالرغم أن هذه تمثل التمكّن اللغوي من خلال الجرأة اللغوية التي تمثل محاوره الكاتب .

تحمل اللغة المقامات في طياتها وظيفية بالغة الأهمية، تتجاوز في أهميتها مجرد نقل المحسنات اللفظية والبديعية ، فهي ليست مجرد مادة خام يتوسل بها الأديب إلى تحقيق غاية معينة، تحتفي وراء الغاية الأخلاقية أو التعليمية وحتى

الجمالية، بل هي عنصر رئيسي في المقامة، تشكل كيانا مستقلا بذاته، يكاد دورها " يستعصى على التصنيف والتحليل، ويحتفظ لنفسه باسم " الشخصية" التي تعمر المقامة أفقيا وعموديا، تحار البطل ويجاورها. فلا تشك أهما شخصيتان حقيقتان تشيعان في المقامة حركة درامية وحيوية إبداعية. (إبراهيم السعافين : 1987)

وبالرغم من هذا، فإن مقامات صاحب القرآن بوجه عام كان نتاجا وتأثرا طبيعيا لما كان سائدا في عصره، ولكن كونه عالم ولغوي وفقهه ومثقف جعله يتعد بنفسه عن سلوك هذا المنحى الذي سار عليه سابقوه من حيث السرد القصصي وما ينطوي عليه من المزاح والهزل. وكلّ من يقرأ مقامات الإلوري، يرى أن أكثر ما استخدمها من الناحية اللغوية والبلاغية هي الجناس والطباق والمقابلة والاستعارات والتلاعب بالألفاظ والكناية، وعنده قدرة عجيبة على التجنيس مما أحوجه الكثير من الألفاظ المهجورة وأوقعه في دائرة التعقيد اللفظي، كما أنه أسهم في تعميقه المعنى المقصود في بعض الأحيان.

ولافتنا إلى نوع الظاهرة اللغوية في المقامة المدروسة { المقامة المشجّرة } لنجد عبقرية صاحب القرآن من حيث استخدام الألفاظ المألوفة وغير المألوفة أو الغريبة، كما أنه قد أكثر من المترادفات اللفظية والصفات العديدة التي تدل على معنى واحد. وقد أعانته حافظته القوية، وسعته المحصولية، ودراية بمفردات اللغة واستعمالاتها على ذلك عونا كثيرا. وعلى سبيل المثال : عزمت، الاستنحاء، التصفيف، أذر، فرجة، أسدّ، مغاني، أبو العجب، يدس، أخمص، يغشاها، وغل، ترياق، الضنى، الفشاوة، ميسمة، دلاء، ولاء، عيَاء، حفاك، بهت، الترائب، ولى . (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

شرح الكلمات :

- | | |
|--|---|
| - عزمت : قصدت | - دلاء : من دلح فهو والانخفاض والنقص |
| - التصفيف : المشي حوينا | - زيّ : الثوب |
| - أذر : أترك | - الملا : القوم |
| - أسدّ : أعطى | - يدس : يمشى عليه ثراي ثناء |
| - مغاني : منازل | - وغل : دخل |
| - أخمص : أقدام | - عجز : هو الشطر الثاني من البيت الشعري |
| - طيّ : وهو حذف الرابع الساكن من التفعيلة | - ولى : دبر |
| - الشعر المشجّر : هو ضرب من الشعر يكتب على هيئة شجرة | - الضنى : المرض أو الهزل الشديد |
| - ترياق : ما يمنع امتصاص السمّ من المعدة أو الأمعاء | - الفشاوة : عشي عليه، وأغمى عليه، تلاشى |
| - شُمّ : ترفع وتكبر | - ولاء : قرابة |
| - ميسم : الجمال | - حفاك : اعتنى بك |

- عيَاء : عجز
- فاه : الفم
- بهت : حار
- الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين
- الاستنحاء : جمع الأشياء
- فرجة : خلال الكواسب السبعة
- أبو العجب : كناية عن القدر والقضاء
- يغشاها : يحضرها

وأمر آخر الذي يستحق الوقوف عليه هو استخدام ضمير المتكلم الذي أخذ قسطاً وافراً في هذه المقامة. وهذا يدل على سياق حكاية الراوي عن رحلته ومغامراته طلباً لزيادة المعرفة والعلوم، وعلى سبيل المثال: عَزَمْتُ مَا دُمْتُ بِالْبَقَاءِ، مُنْذُ اسْتَطَعْتُ عَلَى الْإِسْتِنْحَاءِ، عِنْدَ مَا بَلَغْتُ مِنَ الْقُوَى أَشَدَّهَا. فَأَدَانِي أَبُو الْعَجَبِ. (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

وكذلك يتوفر في هذه الظاهرة ضمير الجمع ولكن صيغتها مختلفة، فيها صيغة فعل الماضي والمضارع بدون استخدام صيغة فعل الأمر ولكن بحذف النون في الماضي: فَقَالُوا أَفْتُدَيْقَنَا فِيهَا الْعَنَاءِ، وَاعْتَرَفُوا لِتُرَاهْتِهِ، فَتَعَلَّمُوا مِنْهُ كَيْفِيَّةَ صُنْعِهِ، وَأَخْفَوْهُ حِدَارَ مَنَعِهِ. وفي المضارع: وَإِذَا هُمْ يُجَاوِرُونَ عَلَى قِيَمَةِ الْعِلْمِ، وَيَشْهَدُونَ بِالنُّثْرِ وَالنَّظْمِ. (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011).

المبحث السادس : الظاهرة البلاغية :

وردت في هذه المقامة ألوان من البيان والمعاني والبديع، فمن البيان الوارد فهو التشبيه البليغ والكناية.

- **التشبيه البليغ**: هو ما حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه. مثل : أنت شمسٌ. وفي هذه الأمثلة، قد حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، لأن المتكلم شبه صديقه بالشمس في الضياء، ولم يأت كلامه بأي أداة ووجه الشبه. والمقصود في كلامه هو : أنت كالشمس في الضياء. وإذا نظرنا إلى نوع هذا في المقامة سنرى في شعره حيث يقول :

الْعِلْمُ تَرِيَاقُ الضَّنَى وَعَنَاءٌ وَالْجَاهُ شُمَّ قَاتِرٌ وَعَنَاءٌ. (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

العلم ترياق الضنى وعناء يعنى العلم كترياق الضنى في المرض . وحذف أداة التشبيه {الكاف} ووجه التشبيه { في المرض } وكذلك في جميع الأمثلة .

- **الكناية**: إنها لغة ما يتكلم بها الإنسان ويريد به معنى آخر مع جواز إرادة معناه الأصلي. ولكن في الاصطلاح لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، وهي أيضاً ما يريد به المتكلم إثبات

معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه، فيومى به إلى المعنى الأولى ويجعله دليلاً عليه. (أحمد الهاشمي: 2000). وينقسم إلى ثلاثة أقسام: الكناية عن الصفة، الكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة. ووافقت النظر إلى نوع الكناية في هذه المقامة، نجد فيها كناية عن النسبة. لما يقول الراوي. فأداني أبو العجب. فكلمة أبي العجب، فهي كناية عن النسبة. بمعنى القدر والقضاء

- **الاستفهام:** هو نوع من المعاني الواردة في هذه المقامة، خاصة تحت الإنشاء الطلبي، حيث يقول: هَلْ يُبَيِّنُ أَحَدٌ صَدْرَهُ مِنْ عَجْزِهِ؟ أَفْتَذِيْقَنَا فِيهَا الْعَنَاءَ؟ (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)، ولكن صورة البديع أخذت قسطاً وافراً في هذه المقامة من حيث السجع، والجناس، والطباق، والمقابلة، والاقْتباس وما أشبه ذلك.

- **السجع:** يطلق على كل كلام جار على نصح واحد من حيث أواخر الجمل، وهو سمة عامة التي اتسم بها الأدب منذ القرن الثالث، فلما جاء القرن الرابع كان السجع الكتاب هو المثل الأعلى الذي يحتذى. ومفهومه من الدلال اللغوي مأخوذ من سجع سجعاً: ردّدت صوتها على طريقة واحدة. وسجع فلان: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر مقفى غير موزون. وسجعت الحمامة والناقة. وفي الاصطلاح: فهو كلام المقفّى غير الموزون. وأيضاً فهو توافق الفاصلتين في كل فقرتين أو أكثر من الحرف الأخير. (إبراهيم مصطفى وآخرون): فينقسم إلى أربعة الأنواع: { ا لمطرّف، المرصع، المتوازي، المشطور } . مثل: قوله سبحانه وتعالى: طه، أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيلاً بمن خلق الأرض والسموات العلى، الرحمن على العرش استوى، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى". (سورة طه: 1-8).

وإمعان النظر إلى هذه الأمثلة، وجدنا كل نص تتكون من كلمة أو كلمتين أو أكثر، من تلك الكلمة تتخذ في الحرف الأخير ويسمى هذا النوع من الكلام "السجع". والكلمة الأخيرة من الفقرة يسمى "فاصلة" وتلك الفاصلة تسكن دائماً للوقف للتذوق والإحساس بما في هذه الصناعة اللفظية من حسن وجمال وأفضله ما تساوى الفقرة. ويقول رسول الله (ص): أيتها الناس افشوا السلام، أطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام".

والصفات النظر إلى نوع السجع في المقامة المشجعية، سنرى أنه أخذ قسطاً وافراً الذي يدل على عبقرية المؤلف بأسلوب المقامة. ومن السجع هو: عَزَمْتُ مَا دُمْتُ بِالْبَقَاءِ مُنْذُ اسْتَطَعْتُ، وَأَنْ أُرَاجِمَ مَعَانِي الأَدْبَاءِ، مِنْ البُعْدَاءِ وَالفَرَبَاءِ، فَأَدَانِي أَبُو العَجَبِ إِلَى مَعَاشِرَةِ أُولِي الأَدَبِ، فِي مَحْفَلٍ يَدُسُّ ثَرَاهَا أَحْمَصُ الأَعْلَامِ، بِسِحْرِ الأَقْلَامِ، وَيَعِشَاهَا الشَّاعِرُ وَالمُنْشِئُ، كَمَا يَحْضُرُهَا البُرِّ وَالمُسِيئُ، وَإِذَا هُمْ يُحَاوِرُونَ عَلَى قِيَمَةِ العِلْمِ، وَيَشْهَدُونَ بِالنُّثْرِ وَالتَّنْظِيمِ. إِذْ وَعَلَ عَلَيْنَا أَبُو اللِّيبِ بِأَبْيَاتٍ يَدِّي أَنْ فِيهَا آيَاتٍ، وَقَلَّ مَنْ يَجْلُ خُفْدَهَا، وَيَجْلُ خُلِيَاءَ عِقْدَهَا، ثُمَّ جَعَلَ طِيهَا عَجْزُهُ. فَقَالَ هَلْ يُبَيِّنُ أَحَدٌ صَدْرَهُ مِنْ عَجْزِهِ، فَقَالُوا أَفْتَذِيْقَنَا فِيهَا الْعَنَاءَ، إِنَّ لَنَا بِهَا الْعَنَاءَ، ثُمَّ أَرَاهُمْ مَا فِيهَا مِنَ الشَّعْرِ المُشَجَّرِ،

الَّذِي لَا يُبَيِّنُ عُضْوَانَ الْأَوْزَاقِ مِنَ الشَّجَرِ . مَا فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا بَهَتْ لِبِدَاهَتِهِ، وَاعْتَرَفُوا لِتَرَاهَتِهِ، فِي ذَلِكَ الْأَبْيَاتِ كَمَنْقُولِ الْحَاتِمِ، حَتَّى أَقْفَلَ فَاهُ الْعَائِبِ الشَّاتِمِ، عِنْدَمَا أَتَى لَمْ يَأْتِهِ مِنَ الْعَرَائِبِ، بَنُوا الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ الْأُمَمُ وَرَأَتْ إِلَى سَجْلِهَا الْهُمَمُ، فَتَعَلَّمُوا مِنْهُ كَيْفِيَةَ صُنْعَةٍ، وَأَحْفُوهُ جِدَارَ مَنْعَةٍ، وَانْتَشَرَ الْحُفْلُ، وَوَلَّى الْأَعَالِي وَالسُّفْلُ (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

- **الجناس:** هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى. وله نوعان: الأول: **الجناس التام** والثاني: **الجناس غير التام أم الناقص**. فالجناس التام: هو أن تتفق الكلمتان في الحروف والوزن، والعدد، والترتيب، والشكل. مثل قوله تعالى: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ } (سورة الروم: 55) ويقول أبو العلاء المعري:

لم تلق غيرك إنساناً يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنساناً

ولافت النظر إلى الأمثلة الأولى وجدنا أن لفظ "الساعة" المكررة مرتين، فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة بالساعة الثانية المدة من الزمان أو الوقت المحدد، ولرأيت أيضاً بأنها اتفقا في خمسة الأمور المذكورة في تعريف الجناس التام. وكذلك في المثال الثاني، ولفظ "إنساناً" المكررة مرتين في البيت، فمعناها في المرة الأولى أحد بني آدم، ومعناها في الثانية فهو المثال الذي يرى في سواد العين.

وأما جناس غير التام أو جناس الناقص وهو أن تحتل قيد من القيود المذكورة في التام. أو ما اختلف فيه الكلمتان في واحد "أو أكثر" من الأمور "الخمس" المذكورة وهي الأحرف، والوزن، والعدد، والترتيب، والشكل. وعلى سبيل المثال: قال تعالى: { ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ } (سورة غافر: 75)، ويقول عليه الصلاة والسلام: الخيال معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة. ويقول الحريري: لا أعطى زمامي من يُحْفِزُ ذمامي، ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي. (أبو القاسم علي بن عثمان الحريري)

وعند التمعن في هذه المقامة، نرى أن المؤلف لم يستخدم جناساً تاماً بدون استخدام جناس غير التام، ولكن استخدمها في المقامات الأخرى في مقامات الإلوي. ومن جناس غير التام في هذه المقامة هي: عِنْدَ مَا بَلَغْتُ مِنَ الْقُوَى أَشَدَّهَا، أَنْ لَا أَدُرُ فَرْجَةَ الشَّهَوَاتِ إِلَّا أَسُدُّهَا، وَأَنْ أَرَا حِمَّ مَعَايِنِ الْأُدْبَاءِ، مِنْ الْبُعْدَاءِ وَالْقُرْبَاءِ، ثَرَاهَا أَحْمَصُ الْأَعْلَامِ، بِسِحْرِ الْأَقْلَامِ، وَيَعُشَاهَا الشَّاعِرُ وَالْمُنْشِئُ، كَمَا يَحْضُرُهَا الْبِرُّ وَالْمَسِيئُ، إِذْ وَعَلَ عَلَيْنَا أَبُو اللَّيْبِ بِأَبْيَاتِ يَدِّي أَنْ فِيهَا آيَاتٍ، وَقَلَّ مَنْ يَحُلُّ حُقْدَهَا، وَيَحُلُّ حُلِيًّا عَقْدَهَا، ثُمَّ جَعَلَ طَيْهَا عَجْزُهُ . فَقَالَ هَلْ يُبَيِّنُ أَحَدٌ صَدْرَهُ مِنْ عَجْزِهِ، فَقَالُوا أَفْتَدِيْقْنَا فِيهَا الْعَنَاءَ، إِنَّ لَنَا بِهَا الْعَنَاءَ، مَا فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا بَهَتْ لِبِدَاهَتِهِ، وَاعْتَرَفُوا لِتَرَاهَتِهِ، فِي ذَلِكَ الْأَبْيَاتِ كَمَنْقُولِ الْحَاتِمِ، حَتَّى أَقْفَلَ فَاهُ الْعَائِبِ الشَّاتِمِ، عِنْدَمَا أَتَى لَمْ يَأْتِهِ مِنَ الْعَرَائِبِ، بَنُوا الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ الْأُمَمُ، وَرَأَتْ إِلَى سَجْلِهَا الْهُمَمُ، وَانْتَشَرَ الْحُفْلُ، وَوَلَّى الْأَعَالِي وَالسُّفْلُ. (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

- **الطباق** : وهو عبارة عن الجمع بين المعنى وضده في الجملة، سواء أكان ذلك سلبيا أم إيجابيا. وعلى سبيل المثال: قوله سبحانه وتعالى : { **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا** } . (سورة:النجم:43) وكلمة أضحك وأبكي هو الطباق الإيجابي، وقوله سبحانه وتعالى { **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون** } (سورة الأعراف: 3) إنه الطباق السلبي. ومن أمثلة الطباق في هذه المقامة هي : **مِنَ الْبُعْدَاءِ وَالْقُرَبَاءِ، الْبِرِّ وَالْمُسِيئِ، الْأَعَالِي وَالسُّفُلِ، ضَوْءٌ وَهَاجٌ إِنَّ دُجَى الظُّلَمَاءِ، مَنْ يُمَنَّا وَيُسْرَاهُ لَدَيْهِ سِوَاءٌ**. (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)

المقابلة : وهي أن توتي بمعنيين أو معان متوافقة، ثم يوتي بما يقابلهما أو يقابلها على ترتيب. مثل قوله تعالى: **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** { (سورة الليل:5-8) ويقول أيضا { **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا** } (سورة التوبة: 82) ومن المقابلة في هذه المقامة هي :

الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَغِنَاءٌ	وَالْجَهْلُ شُمُّ قَاتِلٍ وَغِنَاءٌ
الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَغِنَاءٌ	وَالْجَهْلُ شُمُّ يَبْسٍ فِيهِ وَلَاءٌ
الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَغِنَاءٌ	وَالْجَهْلُ شُمُّ قَاتِلٍ وَوَبَاءٌ
الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَغِنَاءٌ	وَالْجَهْلُ شُمُّ قَاتِلٍ عُمِّيَاءٌ
الْعِلْمُ تَزْيَاقُ الضَّنَى وَغِنَاءٌ	وَالْجَهْلُ دَاءٌ عَلَى الطَّيِّبِ عِيَاءٌ
الْعِلْمُ إِزَابٌ لِيَزَايِ طَبَائِعِ	وَالْجَهْلُ بِالْكَفْرِ مَعَا فَرَنَاءٌ

السلام صاحب القرآن: 2011)

-**الاقتباس** : هو أن يضمن المتكلم شعره أو نثره شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو أن يستلهم من الآثار الأدبية من الأشعار والأمثال وما أشبه ذلك على نحو لا يشعر بأنه منهم، ويُسمح بتعبير يسير في اللفظ المقتبس حين تدعو حاجة ملحة لذلك. مثل: { **ربّ حقود ينصب لأخيه أشراكا لنحتله، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله** } . وقد اقتبس المتكلم شيئا من القرآن الكريم حيث على نحو لا يشعر بأنه منه. حيث يقول سبحانه وتعالى: { **ولا يحق المكر السيء إلا بأهله** } . (سورة:الفاطر:43) وكذلك يقول الحريري : "**ساهت الوجوه وقُبْح اللكع ومن يرجوه**". (أبو القاسم علي بن عثمان الحريري) يضمن الحريري نثره شيئا من الحديث الشريف على نحو لا يشعر بأنه منه.

ولعلّ نوع هذا في المقامة المشجربة نادر وقليل وليس فيها سوى اقتباس واحد، ولكن يتوفر وجوده في المقامات الأخرى. ولهذا، نراه في كلام المؤلف حيث يقول : **بَنُوا الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**، (محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن: 2011)، مقتبسا بقول سبحانه وتعالى : **يخرج من بين الصلب والترائب**، (سورة الطارق)

المبحث السابع : الظاهرة الموسيقية :

الموسيقي من أبرز علامات الشعر وهو الذي يميزه عن الكلام العادي المعتاد وعن غيره من الفنون الأدبية، ولها أثر كبير في تنسيق البناء العام للنص الشعري ولاختيار قالب الموسيقى للشعر وتوزيعه أثر كبير في الدلالة على انفعالات الأديب ومشاعره ، بل إن هذا الاختيار هو جزء أساسي من الشخصية الفنية للشاعر (شكري محمد عياد)، والتفات النظر إلى المقامة المشجيرية سنلاحظ أن البحر الذي يستخدمه المؤلف هو البحر الكامل. كما أن البحر الكامل هو البحر الذي يبنى على ستة أجزاء ويأتي على تفعيلية واحدة مكررة مثل: "متفاعلن" وتأتي بالتركيب تفعيلات في كل شطر إذا كان التامة، ومقطوعا إذ دخل فيه القطع الذي غيره من " مُتَّفَاعِلُنْ " إلى " مُتَّفَاعِلُنْ " وأما قافيته فهي الهمزة. وعلى سبيل المثال :

العِلْمُ تَرِيَاقُ الضَّيِّ وَغَنَاءُ وَالْجَهْلُ شُمَّ قَاتِلٌ وَغَنَاءُ

كتابة عروضية : العِلْمُ تَرِيَاقُ الضَّيِّ وَغَنَاءُ

العِلْمُ تَرِ \ يَاقُ ضَضَيِّ \ وَغِنَاءُنْ

0\0\0\0\ | 0\0\0\0\ | 0\0\0\0\

مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ فيصير فعلاثن

وَالْجَهْلُ شُمَّ قَاتِلٌ وَغَنَاءُ

وَالْجَهْلُ شُمَّ \ مُنْقَاتِلُنْ \ وَغِنَاءُنْ

0\0\0\0\ | 0\0\0\0\ | 0\0\0\0\

مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ فيصير فعلاثن

الخاتمة

لقد رصد هذا البحث المتواضع بعدا جديدا في الأدب العربي في نيجيريا الذي لم يطرق دراسته أي بحث من قبل، وهو دراسة نقدية لمقامة المشجيرية في مقامات الإلوري، ولهذا، يمكننا أن نجمل النتائج التي توصلنا إليها فيما يأتي :

1. أن المقامة هي مجموعة حكايات قصيرة تقال في مقام معين، تشمل كثيرا من فرائد الأدب والحكم والأمثال والأشعار النادرة وصور البديع، وبطلها رجل وهمي معروف بالاحتيال، وله حظ كبير من الفصاحة وقدرة على قرض الشعر وحسن تخلص من المأزق.

2. لم تقتصر كتابة المقامات على العرب فحسب بل امتد تأثيرها إلى الكتاب الأفارقة بوجه عام ونيجيريا بوجه خاص يكتبون المقامات ويؤلفونها على منهج كتاب المقامات القدماء مثل بديع الزمان الهمداني وأبي القاسم الحريري وغيرهما، ومن هؤلاء الدكتور عبد الباري أديتنجي في مقاماته الموسومة {كسوة العاري في مقامات عبد الباري} والشيخ مسعود عبد الغني

- أديبايو الأويوي في مقاماته { مقامات الأويوي } والشيخ محمد الأول عبد السلام صاحب القرآن الإلوري في مقاماته { مقامات الإلوري }، والشيخ أحمد التجاني يوسف أجيغلي ريق الأصفياء في مقاماته { مقامات ابن يوسف }.
3. أن الشيخ محمد الأول عبد السلام الملقب بصاحب القرآن من العلماء الأجلاء في نيجيريا بوجه عام وبلاد يوربا بوجه خاص، وهو العالم العلامة اللوذعي الحريري العبقرى والشاعر المفلق، له حسن الديباجة وقوي الأسلوب وطول الباع في تأليف الكتب العديدة باللغة العربية.
4. ويظهر أن شيخنا قرأ عدّة الكتب التراثية العربية اللغوية والأدبية مثل مقامات الحريري لأبي القاسم بن عثمان، ومقامات بديع الزمان الهمذاني، ومجمع البحرين لليازجي، ومقامات الزمخشري وابن جوزي وبعض الكتب اللغوية ممّا أتاحه الفرصة والإمكانية لكتابة المقامات.
5. التزم صاحب القرآن الشكل الفني والقصصي المعروف للمقامات من حيث المحافظة على السجع، واستخدام المحسنات البديعية والبلاغية، وتصوير الهيكل الحكائي.
6. لم نخرج مقامات صاحب القرآن في شكلها عما هو مألوف عند سابقه من أصحاب المقامات، فقد جعل لمقامته راويا فهو { جبريل بن خالد }، وبطلا { أبو اللبيب }.
7. أن دراسة مقامة المشجيرية مهمة جدا لأنها تعاني بدراسة فن المشجر في الشعر العربي الذي يتعلق بضرب من الشعر يكتب على هيئة شجرة بحيث ينظم البيت الرئيس، فيمثل جذع القصيدة وأساسها، ثم يفرع على كل كلمة منه تنمة له تلتزم القافية والوزن نفسهما من جهتي اليمين واليسار.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

- ابن منظور: أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ط2، دار صادر، بيروت، 1992م
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: **مقامات الزمخشري**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م .

أبو القاسم علي بن عثمان الحريري ، مقامات الحريري، شرحها صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط. المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 1976م

أحمد أمين مصطفى: فن المقامات بين البديع والحريري والسيوطي، ط1، (د.ن.)، 1991م

أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ط23، مكتبة نهضة مصر، الفجالة. د.ت

أحمد شوقي: دراسات في المسرح والسينما عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت

أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة الشعر العربي، دار البيروتي، 2008م

إسماعيل بن باشا بن محمد : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكالة المعارف الجليلية، 1941 م

إكرام فاعوري: مقامات بديع الزمان وعلاقتها بأحاديث ابن دريد، ط1، دار اقرأ، بيروت، 1983م

أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.

الجرجاني، أبوبكر عبد القاهر عبد الرحمن (ت 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، د.ط (صحح أصله،

محمد عبده، وعلق على حواشيه، محمد رشيد رضا)، مكتبة القاهرة، مصر. 1960

جميل سلطان: فن القصة والمقامة، دار الأنوار، بيروت، د.ت

حسن عباس : نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، مصر، د.ت

حسن عباس : فن المقامة في القرن السادس، دار المعارف، القاهرة، 1986م

دكتور بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ط3، دار المنارة، جدة، 1988م.

زغلول، حمزة زغلول: الألوان البديعية، ط2، دار الطباعة المحمدية، 1987م

زكي مبارك : النشر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، د.ط.

السعافين، إبراهيم: أصول المقامات، دار المناهل، بيروت، 1987م

السلطاني محمد علي : البلاغة العربية فنونها وأفنائها . 1985م

شوقي الضيف: المقامة، ط2، دار المعارف ، القاهرة، 1964

عبد الباربي أديتنجي : أعراق الذهب، إكورودو: مواصلات الخبر اليومي، لاغوس نيجيريا، 2001

عبد الرحمن ياغي : رأي في المقامات، المكتب التجاري، بيروت . د.ط. 1969م .

عوض، يوسف نور : فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، 1986م

كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية، رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، ط3.

- محمد الأول عبد السلام : مقامات الإلوري، ط5، الأمة لوكاله المطبوعات، كانو، نيجيريا 2011.
- : إجابة المرتجى عن آثار الشيخ الأبهجي، مركز الهدى للكمبيوتر والفنون
التخطيطية، 2008م
- : تعالوا معي إلى قصيدة الأصمعي، د.ت، 2010م.
- مسعود عبد الغني أديبايو : آفاق الذهب، مكتبة انسيبريسن، أبيؤكوتا، ولاية أوغن، نيجيريا. 2005م .
- مرتاض، عبد الملك : فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للطبع , الجزائر.
- مهنا، علي جميل, ابن الجوزي ومقاماته الأدبية, (تحقيق علي جميل مهنا)، رسالة جامعية ، جامعة الأزهر، القاهرة،
1970 م
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت : معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان
عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1993، 1 م .